

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[193] إله، لأنّ القرآن مليء بذكر أمور عن يوم القيامة استعمل فيها الزمن الماضي، وهو إشارة إلى أنّ وقوعه حتمي، أي أنّ مجيئه في المستقبل على درجة من الثبوت والحتمية بحيث أنّّه يبدو وكأنّه قد وقع فعلاً، فيستعمل له صيغة الماضي. على كل حال تقول الآية الأولى: (وإذ قال إله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتّخذوني وأمّي إلهين من دون إله). لا ريب أنّ المسيح (عليه السلام) لم يقل شيئاً كهذا، بل دعا إلى التوحيد وعبادة الله، وأنّ القصد من هذا الإستفهام هو إستنطاقه أمام أمّته وبيان إردانتها. فيجيب المسيح (عليه السلام) بكل احترام ببضع جمل على هذا السؤال: 1 - أوّلاً ينزّه إله عن كل شرك وشبهة: (قال سبحانه). 2 - ثمّ يقول: (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أي ما لا يحق لي قوله ولا يليق بي أن أقوله. فهو في الحقيقة لا ينفي هذا القول عن نفسه فحسب، بل ينفي أن يكون له حق في قول مثل هذا القول الذي لا ينسجم مع مقامه ومركزه. 3 - ثمّ يستند إلى علم إله الذي لا تحده حدود تأكيداً لبراءته فيقول: (إِنَّ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) (1). 4 - (ما قلت لهم إلّاّ ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربّي وربّكم)، لا أكثر من ذلك. 5 - (وكنتم عليهم شهداءً ما دمت فيهم فلمّا توفّيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) (2). أي كنت أحول دون سقوطهم في هاوية الشرك مدّة بقائي بينهم، فكنت _____ 1 - إطلاق كلمة "نفس" على إله لا يعني الروح، فمن معاني النفس الذات. 2 - في معنى "توفّي" وكونها لا تعني موت المسيح (عليه السلام) أنظر ذيل الآية (55) من سورة آل عمران في المجلد الثّاني.